. @ 539 @

وقرأ الأعمش : كرهاً ، بضم الكاف ، والجمهور بفتحها . .

{ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } تهديد عظيم لمن اتبع وابتغى غير دين ا ، وتقدّم معنى الرجوع إليه ، ويحتمل أن يكون قد عطف على قوله : { وَلَهُ أَسْلَمَ } فيكون مشاركاً له في الحالية ، وكأنه نعى عليهم ابتغاء غير دين من انقاد إليه المكلفون كلهم ومن إليه مرجعهم ، فيجازيهم على أعمالهم . والمعنى : أن من كان بهاتين الصفتين لا يبتغي ديناً غير دينه ، ويحتمل أن يكون اسئتنافاً وإخباراً بأنه تعالى إليه مصيرهم ومنقلبهم فيجازيهم بأعمالهم . .

وقرأ حفص ، وعباس ، ويعقوب ، وسهل : يرجعون ، بالياء على الغيبة ، فيحتخمل أن يكون عائداً على من أسلم ، ويحتمل أن يكون عائداً على غير ضمير يبغون ، فيكون على سبيل الالتفات على قراءة من قرأ : تبغون ، بالتاء إذ يكون قد انتقل من خطاب إلى غيبة . وقرأ الباقون : بالتاء ، فإن عاد الضمير على من كان التفاتاً ، أو على ضمير : تبغون ، كان التفاتاً على قراءة من قرأ : يبغون ، بالياء ، أو يكون قد انتقل من غيبة إلى خطاب . .

{ قُلْ ءامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْراهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاْسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ } هذه الآية موافقة لما في البقرة إلاَّ في : قل ، وفي : علينا ، وفي : عيسى والنبيون ، وقد تقدّم شرح ما في البقرة فأغنى عن إعادته هنا ، إلاَّ ما وقع فيه الخلاف ، فنقول : الظاهر في : قل ، أنه خطاب للنبي صلى ا عليه وسلم ) ، أمر أن يخبر عن نفسه وعن أمته بقوله : آمنا به ، ويقوي أنه إخبار عنه وعن أمته قوله أخيراً : ونحن له مسلمون . وأفرده بالخطاب بقوله : قل ، لأنه تقدّم ذكره في أخذ الميثاق في قوله : ثم جاءكم رسول ، فعينه في هذا التكليف ليظهر فيه كونه مصدّقاً لما مع الأنبياء الذين أخذ عليهم الميثاق . وقال : آمنا ، تنبيهاً على أن هذا التكليف ليس من خواصه ، بل هو لازم لكل المؤمنين . قال تعالى : ، كل آمن با } بعد قوله : { * } بعد قوله : { الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ } . .

قال الزمخشري ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من ا لقدر نبيه وقال ابن عطية : المعنى قل يا محمد ، أنت وأمتك : آمنا با ، فيظهر من كلام ابن عطية أن ثم معطوفاً حذف ، وأن ثم الأمر متوجه إلى النبي صلى ا عليه وسلم ) وأمته . .

وأما تعدية أنزل ، هنا : بعلى ، وفي البقرة بإلى فقال ابن عطية : الإنزال على نبي الأمة إنزال عليها . .

وقال الزمخشري : فإن قلت لم عدّ َى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء ، وفيما تقدّم من مثلها بحرف الانتهاء ؟ . .

قلت لوجود المعنيين جميعا ً ، لأن الوحي ينزل من فوق وينتهى إلى الرسل ، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر . .

وقال الراغب : إنما قال هنا : على ، لأن ذلك لما كان خطابا ً للنبي صلى ا عليه وسلم ) ، وكان واصلا ً إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشر كان لفظ على المختص بالعلوّ أولى به ، وهناك ، لما كان خطابا ً للأمة ، وقد وصل إليهم بواسطة النبي صلى ا عليه وسلم ) ، كان لفظ : إلى ، المختص بالإيصال أولى ، ويجوز أن يقال : أنزل عليه إنما على ما أمر المنزل عليه أن يبلغ غيره ، وأنزل إليه على ما خص به في نفسه . وإليه نهاية الإنزال ، وعلى ذلك قال : { أَوَ لَمْ * يَكْفِهِمْ أَنّ َا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } وقال : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلنّ َاسِ مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ } خص هنا : بإلى ، لما كان مخصوصا ً بالذكر الذي هو بيان المنزل ، وهذا كلام في الأولى لا في الوجوب . انتهى كلامه . .

وذكر الزمخشري أن : من قال هذا الفرق فقد تعسف ، قال : ألا ترى إلى قوله : { بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ } { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ } وإلى قوله : { وَقَالَت طّ َائِفَةٌ مّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءامِنُواْ } ؟ انتهى . .

وأما إعادة لفظ : وما أوتي ، فلأنه لما كان لفظ الخطاب عاما ً ، ومن حكم خطاب العام البسط دون الإيجاز ، ولما كان الخطاب هنا خاصا ً اكتفى فيه بالإيجاز . .

{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْ َلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ } الإسلام هنا قيل هو الاستسلام إلى ا والتفويض إليه ، وهو